

الاتباع والابداع في المصطلح النقدي: "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي (517هـ) نموذجا.

Ittibaa 'The fact of following the footsteps of the previous pioneers' and innovation in the critical terminology: Kanoun albalara by Abou Tahir al-Baghdadi 517AH. As a model

د. محمد برحو*

تاريخ النشر: 30/06/2020	تاريخ القبول: 27/04/2020	تاريخ الإرسال: 25/03/2020
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يروم هذا المقال معالجة قضية الاتباع والابداع في المصطلح النقدي القديم ولدراسة الظاهرة اشتغلنا بكتاب محدد هو كتاب "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي (517هـ)؛ وحرصا على الدقة في الموضوع، اقتصرت الدراسة على القسم الثاني من الكتاب المذكور، وتمحورت حول تحديد المصطلحات الخاصة بأبي طاهر والمصطلحات المشتركة بينه وبين البلاغيين والنقاد السابقين والمعاصرين له.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النقدي؛ الاتباع والابداع؛ قانون البلاغة؛ أبو طاهر البغدادي.

Abstract:

This article is aimed at addressing the issue of Ittibaa 'The fact of following the footsteps of the previous pioneers' and Innovation in the ancient critical terminology. In order to study this phenomenon, we decided to work on one specific book Kanoun albalara Abou Tahir al-Baghdadi 517AH. Seeking accuracy, the study was limited to the second section of the aforementioned book. The study is about defining Tahir's terminology, as well as terminology common between him, his former critics and contemporaries.

المؤلف المرسل: محمد برحو Mohammed064123@gmail.com

* باحث في علم المصطلح النقدي؛ خريج كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة -

المغرب. Mohammed064123@gmail.com

Key words: critical terminology, Ittibaa and innovation, Kanoun albalara (rethorics), Abou Tahir al-Baghdadi.

*** *** ***

مقدمة.

مرت البلاغة العربية منذ تاريخها الطويل بمراحل عدة، تطورت عبرها قواعدها وحدودها وتقسيمهما، واستحال التأليف فيها إلى أقسام وفروع تتوالد وتتكاثر، نتج عنه تضخم في القاموس البلاغي؛ فكما هو معروف كان "ابن المعز أول من ألف في البديع وأنه أحصى في كتابه الذي وضعه فيه ثمانية عشر محسناً، ضم فيها إلى المحسنات البديعية الخالصة الصور البيانية الأساسية، وهي الاستعارة والتشبّه والكنية، وبذلك كان البديع عنده وعند من ألفوا فيه بعده يشمل البيان... ولم يلبث أن نفذ قداماً إلى زيادة ثلاثة عشر محسناً. ثم تلاهما أبو هلال العسكري، فعد المحسنات خمسة وثلاثين، وكذلك صنع ابن رشيق في كتابه "العمدة"¹. ثم زاد فيها أبو طاهر البغدادي (517هـ) في "قانون البلاغة"² فجعلها أربعة وأربعين. والبديع عنده ينقسم أقساماً، ويتشعب شعباً...

وإذا نظرنا إلى الدرس البلاغي العربي من جهة المصطلح وجذبه متفاوتاً، منه ما هو قائم على الإبداع والاجتهاد، ومنه ما هو قائم على الاتباع والتقليد؛ مما يتطلب في عملية تقويم هذا العلم التمييز بين الوضع الذاتي لكل ناقد والوضع غير الذاتي.

المعروف أن الفضل في ابتداع كثير من المصطلحات النقدية³ يرجع بالأساس إلى جماعة معينة أو شخص معين يعطي اللفظة في اللغة العامة دلالة اصطلاحية خاصة؛ من هنا نجد أن مجموعة منها ترجع في أصل وضعها إلى مجموعة من النقاد والبلاغيين.

ولاجرم أن مسألة الاتباع والابتداع في المصطلح النقدي العربي تضع عدة تساؤلات تحتاج إلى إجابات علمية ودقيقة، لكونها إشكالية متشعبه ومشتبكة في الرؤى والأفكار والإبداع، غير واضحة المعالم ولا محددة الأركان. وإذا أردنا أن نضع أيديينا على المسألة، فلا بد من عدم القول بالتعتميم، بل بالتفصيص في حدود الزمن والمكان والأشخاص. من هنا آثرنا الاشتغال بكتاب محدد ومعين هو كتاب "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي.

الاتباع والابداع في المصطلح النصي: "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي نموذجا

وكانون البلاغة، واحد من المصادر البلاغية القيمة المهملة، ولدراسته لا بد من وضعه في سياقه التاريخي العام؛ ففي هذا العصر، تحولت بعض كتب البلاغة إلى النقل، إذ عمد أصحابها إلى تكرار البلاغيين السابقين، وكل ما نجد فيها تقسيماً وتنظيمياً وتبويباً جديداً. لهذا اتخذنا نموذجاً للدراسة، للبحث عن المصطلحات الخاصة بالناقد المدروس والمصطلحات المشتركة بينه وبين النقاد الذين وجدوا قبله.

وقبل الحديث عن الاتباع والابداع في مصطلح أبي طاهر البغدادي لا بد من الوقوف عند التعريف بالمؤلف وأهميته النقدية والمصطلحية خاصة.

1. أبو طاهر البغدادي.

أبو طاهر البغدادي هو الشاعر الأديب محمد بن حيدر بن عبد الله بن شعيبان البغدادي، كان شاعراً بليغاً مجيداً، حسن الشعر رقيقه، وقد توفي سنة 517هـ ويبدو أن الشعر كان أبرز صفاتاته، وبه شهر وعرف؛ وعلى هذا ذكرته المصادر التي ترجمت له - رغم ندرتها -، فاحتفلت بنماذج من شعره والثناء عليه، ولكنها لم تشر إلى كتابه "قانون البلاغة" أو إلى أي جهد يتصل بالكتابة والتأليف، حتى خفي أمره على العلماء والدارسين لهذا الفن قديماً وحديثاً.⁴

2. الكتاب وأهميته.

1.2. التعريف بالكتاب.

قانون البلاغة في نقد النثر والشعر دراسة نقدية لأساليب العرب وفنون البلاغة النثرية والشعرية وما تصنفه من وسائل التجميل والتألق والزخرف في كلامها. وهو مقسم إلى قسمين: القسم الأول خاص ببلاغة النثر ونقده، والقسم الثاني خاص ببلاغة الشعر ونقده.

كانت أول إشارة إليه فيما نشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1921 من نبذة اكتشاف مخطوطة الكتاب في الخزانة الظاهرية بدمشق.

وُنشر الكتاب مسلسلاً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد السابع من مجلة الزهراء عام 1927.

ونشره محمد كرد علي في كتابه "رسائل البلاغة".

وقد حقه محسن غياض عجبل، ونشرته مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م، وهي نشرة علمية محققة.

2. أهميتها.

تحدث أبو طاهر البغدادي في كتابه عن مجموعة من القضايا والباحثون النقاد والبلاغية؛ ففي القسم الأول نجد: تعريف البلاغة، وألفاظ الكتاب، ونحوت الألفاظ وعيوها، ونحوت المعاني وعيوها، ومذاهب البلاغة، وتفضيل البلاغة، ووصف البلاغة وترتيب البلاغة، وفضل الكتابة، والبلاغة عند الهندود، وأقوال في البلاغة، والسرقات، وفضائل اللسان... .

أما في القسم الثاني فنجد: أقسام البديع، وأجناس الشعر الخمسة، والمختار من الشعر ومذاهب العلماء فيه، وصناعة الشعر، ومشاكلة الألفاظ للمعاني، ودعاعي الشعر، واختلاف الشعرا في الطبع، والنقد والنقاد... .

وتأتي أهمية الكتاب من كونه يضم عدة مصطلحات نقدية، إذ حاول أبو طاهر البغدادي أن يجمع فيه مجموعة مصطلحات من خلال ما انتهى إليه علمه وتنظيمها وإخضاعها لقواعد وأسس متينة.

ويُعد "قانون البلاغة" لبنة لا يمكن غض الطرف عنها في تاريخ النقد والبلاغة العربين؛ من هنا، يجب أن يعطى الكتاب مكانته التي يستحقها بوصفه ثروة نقدية مهمة ينبغي الاهتمام بها، وتفحصها ودراستها سواء من حيث المصطلح النقدي أو من حيث القضايا النقدية التي يشيرها.

3. مصطلح أبي طاهر البغدادي (517هـ) بين الاتباع والابتداع.

يقوم الاتباع في المصطلح النقدي على السير على منوال القدامي في وضع المصطلح واقتفاء تحديداتهم والالتزام بها. أما الابتداع فهو تجاوز مصطلحات القدامي والفرد في وضعها، واستحداث الجديد وابتکاره تسمية وتعريفا.

الاتباع والابداع في المصطلح النقدي: "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي نموذجاً

إن الوقوف على التقليد والاجهاد أو على الاتباع والابداع يقتضي منا الإجابة عن السؤال الآتي: هل المصطلحات النقدية الواردة في "قانون البلاغة" خاصة بأبي طاهر البغدادي أم أنها مشتركة بينه وبين البلاغيين والنقاد قبله؟

ونظراً لشساعة الموضوع الذي يقتضي الإحاطة بجميع المصنفات النقدية والبلاغية التي ألفت قبل عصره ومقارنته بمصطلحاتها بمصطلحات البغدادي، فإننا سنقصر حديثنا على القسم الثاني من كتابه الذي يضم بالأخص أربعة وأربعين نوعاً بديعياً، حرصاً على الدقة في الموضوع.

سار أبو طاهر البغدادي - على العموم - في الطريق الذي درج عليه البلاغيون القدامى، ومع أنه لم يشر إلى المصادر التي أخذ عنها مادة كتابه هذا، "فمما لا شك فيه أنه أفاد كثيراً ممن سبقه في هذا العلم، كابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وأبن رشيق... لاسيما ونحن نلاحظ تشابهاً بين مادة كتابه هذا وكتاب أبي هلال... على وجه خاص^٥، سواء ما اتصل منها بالموضوعات أو التبويب أو الشواهد"^٦ أو المصطلحات وتعريفها.

جعل أبو طاهر البغدادي القسم الثاني لمصطلحات البديع، وهي عنده أربعة وأربعون فناً، وهو يلتقي مع النقاد السابقين في مجموعة منها، وسنخصص حديثنا عن ابن المعتز (299هـ) في البديع^٧، وقدامة بن جعفر (337هـ) في نقد الشعر^٨، وأبي هلال العسكري (395هـ) في الصناعتين^٩، وأبن رشيق القيرواني (456هـ) في العمدة^{١٠}، لنقف على مدى الاتباع والابداع، خصوصاً أن هذه الكتب من أهم ما صنف في البلاغة، وتضم عدداً مهماً من المصطلحات النقدية.

وفي دراستنا لمصطلحات أبي طاهر وأبن المعتز وجدها وجه التشارك بينهما في المصطلحات الآتية:

الطباق^{١١} سماه ابن المعتز المطابقة^{١٢}، والتجنيس^{١٣}، والاستعارة^{١٤}، ورد العجز على الصدر أو رد الكلام على صدره^{١٥}، والمذهب الكلامي^{١٦}: وهي المصطلحات الخمسة التي عدها ابن المعتز أصول البديع الكبرى؛ والبالغة^{١٧} وسماها ابن المعتز الإفراط في الصفة^{١٨}،

والكتابية والتعريض¹⁹ وجعل ابن المعتز الكنائية معطوفة على التعريض (التعريض والكتابية)²⁰، والالتفات²¹، والاستدرالك والرجوع وهو عند ابن المعتز الرجوع²²، وبراءة الاستهلال وسماتها ابن المعتز حسن الابتداء²³، وبراءة التخلص وسماتها ابن المعتز حسن الخروج²⁴، والتميم وسماه ابن المعتز الاعتراض²⁵، وذهبنا إلى أن التتميم والاعتراض مصطلحان لمفهوم واحد لما يأتي: جاء في قانون البلاغة: "وأما التتميم فهو أن يأخذ الشاعر في معنى، فيورده غير مشروع، فيقع له أن السامع لا يتصوره بحقيقة، فيعود راجعاً إلى ما قدمه فإذاً أن يؤكدده، وإما أن يجعل الشبهة فيه"²⁶.

وجاء في البديع: "الاعتراض... هو أن يعرض المتحدث بكلامه كلاماً آخر قبل أن يتم المعنى، ثم يعود إلى إتمامه"²⁷.

بالإضافة إلى التضمين وهو عند ابن المعتز حسن التضمين²⁸، والإعنة²⁹ وسماه ابن المعتز لزوم ما لا يلزم³⁰، جاء في قانون البلاغة: "وأما الإعنات: فهو أن يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه، إبانة عن اقتداره وتوسيعه، وفسحة مجال فكره، وهذا المذهب على ضروب كثيرة... وقد التزم ابن الرومي في هذا ما لا يلزم، فاللتزم في حرف الردف الياء دون الواو، والواو دون الياء، وكسرَ في قصائد ما قبل حرف الريدي، ولم يفتح ولم يضمّ، وضم في بعضها ولم يكسر ولم يفتح، وفتح في بعضها ولم يضم ولم يكسر"³¹.

وجاء في البديع في باب لزوم ما لا يلزم: "ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي، وتکلفه من ذلك ما ليس له قول رافع بن هرئيم اليزيوعي..."³².

وكذا تجاهل العارف³³، والهزل الذي يراد به الجد³⁴: وهي بعض المصطلحات التي أدرجها ابن المعتز ضمن محاسن الكلام؛ وهي كلها مصطلحات التقى فيها أبو طاهر البغدادي مع ابن المعتز ومجموعها ستة عشر مصطلحاً.

هذا وليس في كتاب ابن المعتز ذكر لباحث قبله في قضایا البديع سوى الأصمubi الذي قال إنه ألف كتاباً في الجناس³⁵، والجاحظ الذي قال إنه أول من سمى "المذهب الكلامي" باسمه³⁶.

الاتباع والابداع في المصطلح النقدي: "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي نموذجاً

أما المصطلحات الثمانية والعشرون المتبقية، فقد التقى في ثلاثة عشر منها مع

قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وهي:

المقابلة وهي عند قدامة صحة المقابلة³⁷، والإرداد³⁸، والمساواة³⁹، والإشارة⁴⁰، والغلو⁴¹، والإغفال⁴²، والتسهيم وذكر البغدادي أنه "قد يسمى التوشيح أيضاً" وكذلك سماه قدامة⁴⁴، جاء في قانون البلاغة: "وأما التسهيم، فهو أن يصوغ الشاعر ألفاظه مستوية الأقسام، معتدلة النظام، لا يزيد جزءاً على جزءٍ، تقتضي كل كلمة أختها، وكل لفظة شكلها، فإذا كان الشعر على هذه الصيغة، سبق السامع إلى قوافيه، قبل أن ينتهي إليها راويه، حتى لو سمع سامع الشطر الأول، استخرج الآخر، من غير أن يكون قد سمعه"⁴⁵.

وفي نقد الشعر: "التشيح وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته"⁴⁶.

وصحة التقسيم⁴⁷، والمماثلة وسماها قدامة التمثيل⁴⁸، والترصيع⁴⁹، والتكافؤ⁵⁰، والتبين⁵¹ سماه قدامة صحة التفسير⁵²، ويظهر من خلال شواهد أبي طاهر لمصطلح التبين وتعليقه عليها، ومقارنتها بما ورد عند قدامة أنهما مسميان لمفهوم واحد، رغم أنه لم يعرّف المصطلح. جاء في قانون البلاغة: "وأما التبين، فكقول الفرزدق:

لقد حُنْتَ قوماً لَوْ تُسَاق إِلَيْهِمْ *** طَرِيدَ دَمٍ أو حَامِلاً ثِلْثَ مُغْرِمٍ

فلو اقتصر على هذا البيت لكان جيداً، ودخل في باب ما حذف جوابه، فلما احتاج

إلى تَبَيِّنِه بَيَّنَه فقال:

لَأَلْفَيَتَ فِيهِمْ مُغْطِيًّا وَمُطَاعِنًا *** وَرَاءَكَ شَرْزاً بِالْوَشِيجِ الْمُقَوْمِ

فبين قوله (حاملاً ثقل مغرم) بقوله: (ألفيت فيهم معطياً)، وقوله (طريد دم)،

بقوله: (ومطاعنا بالوشيج المقوم)⁵³.

ومن أنواع المعاني عند قدامة صحة التفسير: "وهو أن يضع الشاعر معانٍ يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد أو ينقص مثل قول الفرزدق رحمة الله:

لقد جئت قوماً لو لجأْتُ إِلَيْهِمْ *** طریدَ دم أو حاملاً ثقلَ مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجا إلى تفسير قال:

لألفيتْ فهم معطياً أو مطاعناً *** وراءك شزاراً بالوشيج المقوم

ففسر قوله حاملا ثقل مغرم بقوله إن يليق بهم من يطاعن دونه ويحميه⁵⁴.

علاوة على التصريح وسماه قدامة نعت القوافي⁵⁵، جاء في نقد الشعر: "نعت القوافي:

أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافية، فإن الفحول والمجيدين من الشعراة القدماء والمحدثين يتroxون ذلك. ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره. وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس محله من الشعر، فمنه قوله:

قفَا نَبِكِ مِنْ ذَكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *** بِسَقْطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات، فقال:

أَفَاطِمْ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِلُ *** وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت، فقال:

أَلَا أَهْبَا الْلَّيْلَ الطَّوِيلَ أَلَا انجلي *** بَصِّرْ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ⁵⁶.

وكان نص البغدادي تعريفا واستشهادا هو نفسه نص قدامة تقريبا؛ جاء في قانون البلاغة: "وأما التصريح: فهو أن يقصد الشاعر لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني، وقد فعل ذلك المتقدمون والمحدثون، حتى إن بعضهم ربما صرخ من القصيدة الأبيات، يدل بذلك على اقتداره وسعة بحره، ودقة فكره، ورحب باعه، وتوقف ذكائه...".

قال امرؤ القيس وهو أوسعهم مذهبها في هذا الباب:

قِفَا نَبِكِ مِنْ ذَكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *** بِسَقْطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

ثم قال:

أَفَاطِمْ مَهَلًا بَعْدَ هَذَا التَّدَلِلُ *** وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي.

ثم قال:

أَلَا أَهُبَّا الْلَّيلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ *** بَصُّبِّحُ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ⁵⁷.
ومن المحسنات التي التقى فيها أبو طاهر مع أبي هلال العسكري في الصناعتين،
نجد سبعة هي:

التكمل⁵⁸ سماه العسكري التتميم والتكميل وجعله مصطلحاً واحداً⁵⁹، والسلب
والإيجاب⁶⁰، والعكس والتبديل⁶¹ وهو عند أبي هلال العكس⁶²، والتذليل⁶³، والاستطراد⁶⁴،
والاستثناء⁶⁵، وجمع المؤلفة والمختلفة⁶⁶.

بقيت ثمانية مصطلحات، نرد خمسة منها لابن رشيق القير沃اني في العمدة، وهي:
الموازنة⁶⁷، والتكرار⁶⁸، والتصحيف⁶⁹، والترديد⁷⁰، والتفرع⁷¹.

أما المصطلحات الثلاثة المتبقية وهي: التفويف، والتسميط، والقسم، فلم نجد لها ذكراً في كتب البلاغة التي ألفت قبل "قانون البلاغة" حسب ما ورد إلى علمنا؛ غير أن الخطيب التبريزى (502هـ) أوردها في كتابه الكافي في العروض والقوافي؛ يقول في تعريف المصطلح الأول: "(والتفويف) المُشَبَّهُ بِالْبُرْدِ الْمُفَوَّفِ" ، وهو الذي يخلطُ وشيئه شيءٌ من البياض⁷². وإذا كان التبريزى اقتصر على هذا التعريف اللغوى، فإن أبو طاهر - علاوة على التعريف اللغوى - أضاف إليه تحديد الاصطلاحى وخصه في مجاله؛ يقول: "وأمّا التفويف: فإنّما سُمِّيَ التفويف، تشبّهًا بالبرد المفوّف، وهو الذي يخلط وشيئه شيءٌ من البياض، والمفوّف: بياضٌ يكون على الأظفار، وسُمِّيَ البردُ مفوّفًا به. وهذا النوع من الشعر هو أن يسهل له مخارج الحروف، ويرفّ منه رونق الفصاحات مع الخلوق من البشاشة، وأن يكون ظاهر المعنى لا يحتاج إلى إعمال الفكر في استنباط معانيه، وإن كان حالياً من جميع الأوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها"⁷³. وجميع شواهد البغدادي - باستثناء البيت الأخير من آخر شاهد شعري - وردت عند التبريزى بالترتيب نفسه⁷⁴.

أما التسميط فقد كان تعريف البغدادي هو تعريف التبريزى ذاته، باللفظ نفسه، والشاهد نفسه، والتعليق نفسه⁷⁵.

أما القسم وإن لم يعرفه التبريزى في كتابه، فإن شواهده الشعرية جميعها مذكورة

في قانون البلاغة⁷⁶.

إن الحديث عن هذه المصطلحات يتوجه بنا إلى ثلاثة احتمالات هي:
الاحتمال الأول. تأسيس التبريري لهذه المصطلحات واتباع البغدادي له.
إذا وازنا بين بنية العناصر المكونة لورود مصطلحي (التفويف، والقسم) عند
النقددين، وركزنا على مسألة اللغة الواصفة، فسنلاحظ الآتي:
اقتصر التبريري في تعريف مصطلح التفويف على الجانب اللغوي، بينما - علاوة
على هذا الجانب - حاول أبو طاهر البغدادي الربط بين الدلالة اللغوية والدلالة
الاصطلاحية، وتأسيس التعريف الاصطلاحجي بناء على خواصه اللغوية.
أما مصطلح القسم، فقد غاب تعريفه عند التبريري؛ في حين، حدد البغدادي
مفهومه وضبطه.
المعروف أن تحديد المفاهيم الجديدة وغير المألوفة ثمرة لشئين اثنين هما: التفهم
والتبين اللذان يقوم بهما المعرف، وفي هذه الحال يمكن ترجيح اختراع البغدادي لهذه
المصطلحات؛ وقد يكون كذلك نتيجة لتجارب سابقة، وهنا تثار فكرة أن البغدادي صاغ
تعريفه لهذه المصطلحات انطلاقا من العمل التمهيدي الذي قام به التبريري، سواء من
جهة التأصيل اللغوي لمصطلح التفويف أو من القول الشعري لمصطلح القسم الذي اتخذ
قاعدة لصياغة التعريف. من هنا تجد فرضية إنشاء التبريري لهذين المصطلحين مكانهما
داخل هذا الفرض النظري الأول؛ إذ لو كان التبريري مقتفيا نهج البغدادي في المصطلحات
لسد فراغ تعريف هذين المصطلحين بناء على تعريفهما عند البغدادي، إما نقاً مطابقا
وإما تعديلا بالإضافة أو الحذف...
الاحتمال الثاني. أسبقية البغدادي في ابتداع هذه المصطلحات واتباع التبريري له.
المعروف أن البلاغيين القدماء تباروا في إحصاء الشاهد الشعري وإنتاج المصطلح
البدعي، وراكموا جملة من التسميات كانت سببا في سيولة المصطلح البلاغي وتوسيع
دائرته.
وما يثير الانتباه عند المقارنة بين الكتاين، أن كل مصطلحات البغدادي أوردها
التبريري في كتابه بالتسمية نفسها، وبالترتيب نفسه⁷⁷؛ وأضاف التبريري إلى كتابه خمسة

مصطلحات بدئعية هي: الزيادة التي يتم بها المعنى⁷⁸، والمشاكلة⁷⁹، والتنبيه⁸⁰، والمُواردة⁸¹، والمُواربة⁸²؛ لم يذكر منها البغدادي إلا المصطلح الأول، عند حديثه عن أجناس الشعر الخامسة، وسماه "المعنى الذي تلحقه زيادة تؤكده"، ولم يجعله ضمن أقسام البديع التي عدّها⁸³. هذا الأمر يضع أكثر من إشكال وتساؤل؛ فإذا كان البغدادي اتبع التبريري، فلماذا أهمل المصطلحات الأربع الأخيرة ولم يأخذ بها ويضمّنها في كتابه؟! خاصةً أنّنا نعلم أن الكم العددى للمصطلح البديعى اتّخذ نسقاً تصاعدياً منذ بداياته الأولى إلى عصر البغدادي وما جاء بعده، أولى بـ مسألة التنمّي العددى وإضافة الجديد بحكم كونها أظهرت في كتاب الكافي منها في كتاب قانون البلاغة مُرجحة لفرضية رياضة البغدادي في هذا الباب؟ أما إذا كان العكس، وللتبريري شرف السبق في اختراعهما، فهل من الجائز أن تكون كذلك، ونحن نعلم أن الكتاب وضع في الأصل للعروض والقوافي، وبهذا الميدان عُرِف واشتهر. أما البديع فجاء الحديث عنه بعد الفراغ من الموضوع الأساس، ولأنه داخل في صنعة الشعر مما يجب معرفته؟⁸⁴.

كل هذا يجعلنا في حديثنا عن هذه المصطلحات الثلاثة نقول ظناً، ولا نستطيع الجسم علمياً بأن أبي طاهر اهتدى إلى أنواع بدئعية جديدة أو اكتفى بإعادة ذكر ما اخترع سلفاً. ولسنا ندري أي الكتابين أسبق في التأليف؟ وأي المؤلفين أخذ عن الآخر؟ خصوصاً أنهما قد تعاصرَا، وتاريخ وفاتهما متقارب جداً؛ إذ لا يبعد تاريخ وفاة البغدادي عن التبريري سوى خمس عشرة سنة.

الاحتمال الثالث. وهو أن هذه الأنواع الثلاثة قد انتهت إلى علم التبريري والبغدادي مما أورده المتقدّمون، وعشراً علىها لدى بعض من سبقوهما من أهل الصناعة أو غيرهم؛ وهو احتمال وارد جداً، خاصةً أن تراثنا العلمي ما زالت فيه حلقات مفقودة وفجوات كبيرة، وعدد كبير من نصوصه أصابه التلف والضياع.

إذن، مجموع المصطلحات التي اتبع فيها غيره - سواء اتفق معهم على تسميتها الاصطلاحية أو اختلف معهم في التسمية - واحد وأربعون مصطلحاً، ولم يبق إلا ثلاثة مصطلحات لم نقطع القول بأنّها من ابداع البغدادي، ولم نجزم كذلك بأنّها ليست

للتربيزي علماً أن لا أحد منهما حدد اكتشافه لهذه الأنواع التي عرفنا بها بقول صريح في كتابه.

لقد جارى أبو طاهر البغدادي من سبقه أو عاصره من العلماء والنقاد في مجموعة من المصطلحات؛ إذ بدا أن تسميات بعضهم حظيت عنده بالقبول، لذلك يظهر أن الكتاب جزء وامتداد للمصطلح البلاغي السابق عليه، ويتأسس خطابه على خاصة "التصنيف والترتيب والمماثلة"، وهذا الأمر لا يعني أنه جعل من كتابه نسخة مكررة من الكتب السابقة أو من بعضها؛ بل هو دراسة تحليلية وإعادة بناء لا تخلو من إبداع وتأسيس.

إن أول إشكال أثار انتباهنا في هذا البحث هو تضارب تسميات البغدادي للفن البديعي الواحد، إذ إن هناك مجموعة من المصطلحات أخذها البغدادي عن البلاغيين وظن أنها مختلفة لفظاً ومفهوماً. فالتوشيح عند قدامة هو رد العجز على الصدر عند ابن المعذ؛ والتكافؤ عند قدامة هو المطابقة عند ابن المعذ؛ والاعتراض عند ابن المعذ؛ والتسهيم عند قدامة، والتميم والتمكيل عند أبي هلال مصطلحات عدة لمفهوم واحد؛ والاستطراد عند العسكري هو حسن الخروج عند ابن المعذ... وأبو طاهر يُسمى ويُعرف "التسهيم" و"رد العجز على الصدر"؛ و"التكافؤ" و"الطباق"؛ و"التميم" و"التمكيل"؛ و"الاستطراد" و"براعة التخلص"... ويجعلها لفظين اثنين بمفهومين اثنين.

وقدم أحمد أبو زيد في حديثه عن التضخم في المصطلح البديعي أمثلة للظاهرة، منها "تلك التي سماها ابن المعذ رد أعجاز الكلام على صدوره، هذه الصورة أخذت أسماؤها تتکاثر حتى بلغت أربعة عشر مصطلحاً هي: الإرصاد، والإيغال، والتذليل، والتسهيم، والتصدير، وتشابه الأطراف، والتعقيب، والتمكيل، والتميم، والتوشيح، والتناسب، واتفاق الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام. وقل أن تجد فنا من فنون البديع لم تتعدد أسماؤه".⁸⁵

وذكر أبو طاهر البغدادي في كتابه رد العجز على الصدر، وخمسة مصطلحات متفرعة عنه هي: الإيغال، والتسهيم، والتمكيل، والتذليل، والتميم. وإذا أخذنا في عين

الاتباع والابداع في المصطلح النصي: "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي نموذجاً

الاعتبار هذه الأمثلة فقط؛ تأكّد لدينا أنّه انحرط كذلك في تتبع الجزئيات، وأكثر من التسميات الحرفية للأصل، وأقام الفروق البسيطة حيث لا تكاد تُلحظ.

ومكمّن خطورة الظاهرة إفرازاتها لإشكاليات جعلت الدرس المصطلحي في غياب التخلّف. ولا يخفى ما يسبّبه هذا الانحراف في وظيفة المصطلح من عوائق مُخلّة بالتواصل لما تُحدّثه من التباس واضطراب لملتقى المصطلح. وهذا التحدّي يواجهنا إلى الآن إذا نحن لم نبادر بتصنيفه وترتيبه وتنظيمه.

والمسألة الثانية التي تلاحظ من خلال قراءة نتائج هذه الدراسة هي أنّ النقاد توارثوا المصطلح النصي، إذ تشابهت مؤلفاتهم من حيث احتواها على الاصطلاحات نفسها لفظاً وتعريفاً، وتتشابه كذلك استعمالاتهم لبعضها. لقد أخذ النقاد مصطلحاتهم من نقاد تقدّموهم أو عاصروهم، وفي الوقت نفسه حاولوا فيهم مصطلحات سابقة أو متزامنة فيما جديداً، وأضافوا مصطلحات أخرى مستحدثة.

إنّ مسألة الاتباع أو التقليد لا تقتصر على زمن معين، ولا على مكان محدد، ولا على فئة أو شخص معينين، بل نجدّها تتطور مع مرور الزمن، فهي عملية تاريخية قديمة وحديثة، مرتبطة بضرورات البحث العلمي ودواعي الرقي به، ونجدّها في مختلف البيئات النصيّة. من هنا يتضح أنّ مسألة الاتباع أو التأثير كانت مسألة طبيعية بالنسبة إليهم، بل وضرورة علمية في بعض الأحيان، لذا لم يتحرّجو من الأخذ عن النقاد السابقين والسير خذلهم ومحاکاتهم في مصطلحاتهم. وبما أنّ النقاد ربطوا تطور مسار البحث النصي بمسألة التجديد المصطلحي، فقد تضافرت جهود ثلاثة منهم في صنع المصطلحات ووضع المفاهيم المبتكرة.

خاتمة.

وختّاصه القول، نَسِي أبو طاهر المصطلح النصي وأغنّاه، وأضفى عليه بتعريفاته وشواهد وتعليقاته لمساته الخاصة، مما جعله لا يكتفي بالوقوف عند حدود اتباع القدامي على الرغم من تأثره بهم. هذا بالإضافة إلى أنه أظهر تميّزاً ملحوظاً جمع بين الاتباع والابداع، وبذلك يعد الكتاب جزءاً أصيلاً من كيان البلاغة العربية، وامتداداً وإغناء لأصولها ومصطلحاتها، ولا دين في أنّ كثيراً من تلاه في هذا العلم قد أفاد من كتابه هذا.

كأسامة بن منذ في نقد الشعر^{٤٦}، وابن أبي الأصبع المصري في تحرير التحبير، والنويري في نهاية الأرب، والتنوخي في الأقصى القريب، والحلبي في حسن التوسل وغيرهم^{٤٧}.

الهواش:

- ١- شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية عشر. ص: 358.
- ٢- أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي (517هـ). قانون البلاغة في نقد النثر والشعر. تحقيق محسن غياض عجيل. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م.
- ٣- المقصود بها المصطلحات البلاغية، لأن كل مصطلح بلاغي هو مصطلح نقدي: مسترشدين بقول الأستاذ الشاهد البوشيخي أن "ين المصطلح النقدي والمصطلح البلاغي عموماً وخصوصاً مطلقاً، فكل مصطلح بلاغي هو مصطلح نقدي، وليس كل مصطلح نقدي مصطلحاً بلاغياً"^(١). من هنا سيأتي استعمالنا في هذا المقال للمصطلح النقدي أو البلاغي بمعنى واحد.
- ٤- الشاهد البوشيخي. مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجahليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص). عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد - الأردن، الطبعة الأولى 1430هـ / 2009م. الإحالة .1، ص: 31.
- ٥- آنظر: مقدمة محقق: قانون البلاغة. ص: 5 - 8. أردنا تتبع ترجمة المؤلف في مجموعة من الكتب التي أشار إليها المحقق فلم تتوافر لنا هذه الكتب أولاً، ثم لم نعثر على ترجمة وافية له في الكتب التي توافرت لدينا ثانياً؛ فعلى سبيل المثال، جاء في معجم المؤلفين لعمرو رضا كحالة: "أبو طاهر البغدادي. له قانون البلاغة"^(١) فقط. لهذا اضطررنا إلى الاستعانة بما ورد في مقدمة المحقق ولم شئنا المعلومات من هنا وهناك لت تقديم تعريف مبسط وموجز.
- ٦- عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية. المجلد الثالث، الجزء الخامس. الناشر مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. ص: 35.
- ٧- كذلك لاحظنا في دراستنا تشارها كثيراً بين "قانون البلاغة" و"الكافي في العروض والقوافي" للتبريزى في حدثه عن البديع.
- ٨- مقدمة المحقق. قانون البلاغة. ص: 17.
- ٩- أبو العباس عبد الله بن المعتز (299هـ). البديع. شرحه وحققه عرفان مطريجي. مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1433هـ/2012م.
- ١٠- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (390-456هـ). العمدة في محسن الشعر وآدابه. تحقيق محمد قرقزان. مطبعة الكاتب العربي - دمشق، الطبعة الثانية 1414هـ - 1994م، الجزء 1-2.
- ١١- أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 84.

- ¹²- ابن المعتر. البديع. ص: 48.
- ¹³- قانون البلاغة. ص: 86 / البديع. ص: 36.
- ¹⁴- قانون البلاغة. ص: 90 / البديع. ص: 15.
- ¹⁵- قانون البلاغة. ص: 102 / البديع. ص: 62.
- ¹⁶- قانون البلاغة. ص: 124 / البديع. ص: 69.
- ¹⁷- قانون البلاغة. ص: 96.
- ¹⁸- البديع. ص: 85. وجاء في البديع، الإحالة رقم 2، ص: 85 ما يأتي: "الإفراط في الصفة؛ ويسميه البعض المبالغة ويقسمه إلى ثلاثة مستويات: الأول التبلیغ... (و) الثاني الإغرار... (و) الثالث الغلو".
- ¹⁹- قانون البلاغة. ص: 109.
- ²⁰- البديع. ص: 83.
- ²¹- قانون البلاغة. ص: 110 / البديع. ص: 73.
- ²²- قانون البلاغة. ص: 111 / البديع. ص: 74.
- ²³- قانون البلاغة. ص: 116 / البديع. ص: 103.
- ²⁴- قانون البلاغة. ص: 120 / البديع. ص: 75.
- ²⁵- قانون البلاغة. ص: 122 / البديع. ص: 108.
- ²⁶- قانون البلاغة. ص: 122 - 123.
- ²⁷- البديع. ص: 108.
- ²⁸- قانون البلاغة. ص: 130 / البديع. ص: 81.
- ²⁹- قانون البلاغة. ص: 133.
- ³⁰- البديع. ص: 102.
- ³¹- قانون البلاغة. ص: 133 - 134.
- ³²- البديع. ص: 102.
- ³³- قانون البلاغة. ص: 134 / البديع. ص: 79.
- ³⁴- قانون البلاغة. ص: 135 / البديع. ص: 80.
- ³⁵- أنظر: البديع. ص: 36.
- ³⁶- أنظر: الكتاب نفسه. ص: 69.
- ³⁷- قانون البلاغة. ص: 92 / نقد الشعر. ص: 141.
- ³⁸- قانون البلاغة. ص: 93 / نقد الشعر. ص: 157.
- ³⁹- قانون البلاغة. ص: 94 / نقد الشعر. ص: 153.
- ⁴⁰- قانون البلاغة. ص: 95 / نقد الشعر. ص: 154.
- ⁴¹- قانون البلاغة. ص: 97 / نقد الشعر. ص: 202.
- ⁴²- قانون البلاغة. ص: 99 / نقد الشعر. ص: 168.
- ⁴³- قانون البلاغة. ص: 102.
- ⁴⁴- نقد الشعر. ص: 167.

- ⁴⁵- قانون البلاغة. ص: 101.
- ⁴⁶- نقد الشعر. ص: 167. تنبية: التوشيح عند قدامة هورد العجز على الصدر عند ابن المعتز؛ يقول ابن المعتز: "رد العجز على الصدر وهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهذا الباب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: 1. فمن هذا الباب ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول... 2. ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول... 3. ومنه ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه". البديع. ص: 62.
- والغريب في الأمر أن أبي طاهر عدّهما مصطلحين مختلفين؛ فأخذ رد العجز على الصدر عن ابن المعتز، وأخذ التوشيح عن قدامة؛ فلك أن تتأمل هذا التداخل في المفاهيم والخلط في المصطلحات الذي وقع فيه البغدادي.
- ⁴⁷- قانون البلاغة. ص: 103 / نقد الشعر. ص: 139.
- ⁴⁸- قانون البلاغة. ص: 105 / نقد الشعر. ص: 159.
- ⁴⁹- قانون البلاغة. ص: 107 / نقد الشعر. ص: 80.
- ⁵⁰- قانون البلاغة. ص: 107 / نقد الشعر. ص: 147. تنبية: التكافؤ عند قدامة هو المطابقة عند ابن المعتز، وشاهد ذلك أن تعريف قدامة له هو نفسه تعريف ابن المعتز للمطابقة؛ جاء في نقد الشعر: "ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه، أي معنى كان، فيأتي بمعنىين متكافئين. والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضوع أي متقابلين إما من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل مثل قول... بشار:
- إذا أيقظت حروب العدى *** فتبَّأْ لها عمراً ثمَّ تَمَّ
(*) فَنَبِّهُ وَنَمَّ تَكَافَأْ.
- وله أثر في تجويد الشعر قوي فإنه لو قال مثلاً ' مجرد لها عمراً' لم يكن لهذه اللفظة لـ 'نبا' من الموضوع مع نم'.
- قدامة. نقد الشعر. ص: 147 - 150.
- (1) البيت في الديوان: (إذا أيقظت حروب العدى *** فتبَّأْ لها عمراً ثمَّ تَمَّ). محمد الطاهر ابن عاشور؛ ناشر ومقدم وشاح ومكملاً: ديوان بشار بن برد. راجعه وصححه: محمد شوقي أمين. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: الجزء الرابع، 1386هـ/1966م. ص: 160.
- وجاء في البديع: "من البديع وهو المطابقة قال الخليل رحمة الله: 'طابت بين الشيئين إذا جمعتهما على حدو واحد'. وكذلك قال أبو سعيد. فالقاتل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب". ابن المعتز. البديع. ص: 48.
- وقد كان للأدمي (370هـ) رأى في قضية تعدد تسمية المصطلح حينما لم يرضه استقلال قدامة بمصطلحه ومخالفته لابن المعتز في وضع التسميات؛ يقول: "وهذا باب.. أعني المطابق. لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر (الكاتب) في كتابه المؤلف في نقد الشعر: 'المتكافئ'... وما علمت أن أحداً فعل هذا غير أبي الفرج. فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى المقربات، وكانت الألقاب غير محظوظة؛ فإني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره من تكلم في هذه الأنوار وألف فيها؛ إذ قد سبقوا إلى التلقيب وكفوه المؤونة". أبو القاسم الحسن بن بشير الأدمي (370هـ). الموازنة بين شعر أبي تمام

والبحتري. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة. الجزء الأول، ص: 291 - 292.

أما المطابق عند قدامة فهو يختلف كلباً عن المطابقة عند ابن المعتز؛ يقول في تعريفه: "وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى، ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغيرة قد اشتراك في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة، فاما المطابق فهو ما اشتراك في لفظة واحدة بعينها مثل قول... الأفوه الأردي:

واقطع الْهُوَجَلَ مُسْتَأْنِسًا *** هُوَجَلَ عَيْدَانَةَ عَنْتَرِيس (**)
فلفظة الْهُوَجَلَ في هذا الشعر واحدة قد اشتراك في معنيين، لأن الأولى يعني الأرض والثانية الناقة". قدامة. نقد الشعر. ص: 162 - 163.

(2) * البيت في الديوان:
وأقطع الْهُوَجَلَ مُسْتَأْنِسًا *** هُوَجَلَ عَيْدَانَةَ عَنْتَرِيس
الْهُوَجَلَ: الأرض البعيدة، والناقة العظيمة الخلق السريعة في سيرها. العنتريس: الذاهية. العبرانة: النشطة الصلبة". محمد التونجي؛ شارح ومحقق: ديوان الأفوه الأردي. دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1998م. ص: 83.

ملاحظة: "يقال للأفوه الأردي" كذلك. آخر: الكتاب نفسه. ص: 25.
وما قيل عن مصطلحي "رد العجز على الصدر" و"التوشيح" يقال عن هذين المصطلحين، إذ أخذ أبو طاهر عن كلا البلاغيين مصطلحين ظن أنهما مختلفان لفظاً ومفهوماً. وهو نفسه يصرح بداخل مفهوم التكافؤ مع الطباقي يقول: "وأما التكافؤ فهو قريب من الطباقي". أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 107.

⁵¹ نفسه. ص: 124.

⁵² نقد الشعر. ص: 142.

⁵³ قانون البلاغة. ص: 124. البيان في الديوان:
لَقَدْ حُنْتْ قَوْمًا لَوْلَجَاتِ إِلَّهٍ *** طَرِيدَ دَمِ، أَوْ حَامِلَاتِنَ مَغْرُمٌ
لَلْأَفْئِيَّتِ فِيهِمْ مُطْعِيًّا وَمُطَاعِنًا *** وَزَاءَكَ شَرِّاً بِالْوَشِيشِ الْمُقْوَمِ
المغرم: الشّر، الشّرّ: الحّدة والغضّب. الوشيش: الرّماح". علي فاعور؛ شارح وضابط ومقدّم: ديوان الفرزدق. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م، ص: 519.

⁵⁴ نقد الشعر. ص: 142 - 143.

⁵⁵ قانون البلاغة. ص: 128 / نقد الشعر. ص: 86.

⁵⁶ نقد الشعر. ص: 86. الأبيات في الديوان:
قِفَا تَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *** بِسْقَطِ الْلَّوْيِ بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ
السَّقْطُ وَالسَّقْطُ وَالسَّقْطُ: منقطع الرمل. واللّوي: حيث يتلوى ويرق؛ وإنما خص منقطع الرمل وملوّاه؛ لأنّهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لآوتاد الأبنية، وأمكن لحرق اللّوي، وإنما تكون الصّلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوى ويرق. والدّخول وحوّمل: بلدان.

...

أفاطمة مهلاً ببعض هذا التَّدَلُّ *** وإن كنت قد أزمعت صربي فأجملني قوله: (بعض هذا التَّدَلُّ) أي كُنْيَ بعض تدلّك عني وأقْنَى منه. ومعنى (أزمعت) عزّمت وأجمعت. وفاطمة بنت العبيد بن ثعلبة، من عذرها.

...

الآئمَّةُ اللَّائِئُ الطَّوْلَيْنَ لَا انْجِلِي*** بِصَبِّيْ وَمَا الإِصْبَارُ فِيكَ بِأَمْثَلٍ
قوله: (لَا انْجِلِي) أي انكشف؛ ومعنى قوله: (ومَا الإِصْبَارُ فِيكَ بِأَمْثَلٍ)، أي أنا أبدًا مهموم في الليل وفي الصبح".
محمد أبو الفضل إبراهيم؛ محقق ديوان أمرى القيس. دار المعرفة. الطبعة الرابعة. ص: 8 - 12 - 18.

57- قانون البلاغة. ص: 128 - 129.

58- نفسه. ص: 105.

أبو هلال العسكري. الصناعتين. ص: 389. تنبية: التتميم والتكميل عند أبي هلال هو نفسه التتميم عند قدامة، وشاهد ذلك أنهما يلتقيان في التعريف نفسه: يقول الأول: "التميم والتكميل وهو أن توفي حظه من الجودة، وتعطيه نصيحة من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تماماً إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره؛ كقول... الثمر:

لقد أصبح البيضُ الغواني كأنما** يرِينَ إذا ما كنْتُ فِيهِنَّ أَجْرِيَا
وكنت إذا لاقَيْهِنَّ بِبَلَدَة*** يَقْلُنَ على النَّكَرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبَاً (*)

قوله: 'على النكراء' تتميم؛ ولو كانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن أهل ومرحب". أبو هلال العسكري.
الصناعتين. ص: 389 - 390.

(1) البيتان في الديوان:

لقد أصْبَحَ الْبِيْضُ الْغَوَانِيَ كَائِنًا** يَرِينَ إِذَا مَا كُنْتُ فِيهِنَّ أَجْرِيَا
وَكُنْتُ إِذَا لاقَيْهِنَّ بِبَلَدَة*** يَقْلُنَ على النَّكَرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبَا

البيض: جمع بيضاء، وهي الفتاة الحرة الكريمة. والغواني: جمع غانية، وهي التي غنيت بجمالها عن الزينة.
والأجرب: الذي أصابه الحرب، وهو بثر يعلو أيدان الناس والإبل". محمد نبيل طريفى؛ جامع وشاح
ومحقق: ديوان الثمرین تَوَلِّ الْعَكْلِي. دار صادر بيروت. الطبعة الأولى 2000. ص: 38.

ويقول الثاني: "ومن نعوت المعانى التتميم وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته
وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به... مثل قول النمرین تولب:

لقد أصْبَحَ الْبِيْضُ الْغَوَانِيَ كَائِنًا** يَرِينَ إِذَا مَا كنْتُ فِيهِنَّ أَجْرِيَا
وَكُنْتُ إِذَا لاقَيْهِنَّ بِبَلَدَة*** يَقْلُنَ على النَّكَرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبَا

قوله 'على النكراء' أتم جودة المعنى والا فلو كانت بينهم معرفة لم يقلن له: أهلاً ومرحباً". قدامة. نقد
الشعر. ص: 144 - 145 - 146. وقد التقى في أربعة شواهد شعرية أخرى لكل من: عمير بن الأهم التغلبي /
في الصناعتين عمرو بن الأheim؛ وطرفه؛ وعبد الراعي؛ وذى الرمة. وقد ذكرنا سابقاً أن التتميم عند أبي
طاهر هو الاعتراض عند ابن المعتز، والإشكال المثار هنا أن الاعتراض عند ابن المعتز، والتتميم عند قدامة،
والتتميم والتكميل عند أبي هلال مصطلاحات عدة لمفهوم واحد! وأبو طاهر يسمى "التميم" ويسمى
"التكمل" و يجعلهما مصطلاحين لمفهومين مختلفين.

- 60- قانون البلاغة. ص: 108 / الصناعتين. ص: 405.

61- قانون البلاغة. ص: 109.

62- الصناعتين. ص: 371.

63- قانون البلاغة. ص: 112 / الصناعتين. ص: 373.

64- قانون البلاغة. ص: 113 / الصناعتين. ص: 398. والاستطراد عند العسكري هو حسن الخروج عند ابن المعتز^(*); ودليل ذلك تعريفه في الصناعتين: "الاستطراد وهو أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه"^(**). وإذا كان ابن المعتز لم يعرفه واقتصر على القول: "ومنها - أي محسن الكلام - حسن الخروج من معنى إلى معنى"^(***)، فإن جل شواهد العسكري الشعرية التي استشهد بها لهذا الجنس البلاغي هي نفسها شواهد ابن المعتز تقريراً، إذ التقى معه في خمسة^(****). وكذلك عد البغدادي المصطلحين مفهومين مختلفين وأخذ بهما في كتابه.

(*) انظر: ابن المعتز. البديع. الإحالة رقم 1، ص: 75.

(**) أبوهلال العسكري. الصناعتين. ص: 398.

(***) ابن المعتز. البديع. ص: 75.

(****) آنظر: ابن المعتز. البديع. ص: 76 - 77. وأبوهلال العسكري. الصناعتين. ص: 398 - 399 - 400. والشواهد هي ل بشار؛ والمسؤول بن عاديا؛ وزهير؛ وأبي العتاهية / وفي الصناعتين ل مسلم؛ وإسحاق الموصلي / وفي الصناعتين ل بشار.

65- قانون البلاغة. ص: 115 / الصناعتين. ص: 408.

66- قانون البلاغة. ص: 123 / الصناعتين. ص: 401.

67- قانون البلاغة. ص: 93 / ابن رشيق القير沃اني. العمدة. ج 1، ص: 597. ملاحظة: جعل ابن رشيق الموازنة نوعاً من المقابلة يقول: " ومن المقابلة ما ليس مخالفًا ولا موافقًا كما شرطوا إلا في الوزن والإذدواج فقط، فيسمى حينئذ موازنة". نفسه. ج 1، ص: 597.

68- قانون البلاغة. ص: 115 / العمدة. ج 2، ص: 683. ملاحظة: جعل ابن رشيق المذهب الكلامي باباً من التكرار، وقد نقل في هذا الباب كلام ابن المعتز؛ يقول: " وقد نقلت هذا الباب نقلًا من كتاب عبد الله بن المعتز، إلا ما لا خفاء به عن أحد من أهل التمييز، واضطربني إلى ذلك قلة الشواهد فيه". ابن رشيق. العمدة. ج 2، ص: 694.

69- قانون البلاغة. ص: 116 / العمدة. ج 1، ص: 556. ملاحظة: أدخل ابن رشيق المضارعة في باب التجنيس، وعد المضارعة بالتصحيف ضرباً منها. آنظر: ابن رشيق. العمدة. ج 1، ص: 555 - 556.

70- قانون البلاغة. ص: 121 / العمدة. ج 1، ص: 566.

71- قانون البلاغة. ص: 127 / العمدة. ج 1، ص: 632. وقد عده ابن رشيق داخلاً في باب الاستطراد؛ يقول: "باب التفريع: وهو من الاستطراد". نفسه. ج 1، ص: 632.

72- الخطيب التبريزى. الكافي في العروض والقوافي. تحقيق الحسانى حسن عبد الله. مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة 1415هـ/1994م. ص: 194.

73- أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 125.

- ⁷⁴- قانون البلاغة. ص: 125 - 126 / الكافي. ص: 194 - 195.
- ⁷⁵- قانون البلاغة. ص: 128 / الكافي. ص: 196.
- ⁷⁶- قانون البلاغة. ص: 132 / الكافي. ص: 198.
- ⁷⁷- نستنفي من ذلك مصطلح التصرير الذي تحدث عنه التبريزى ضمن مصطلحاته العروضية. آنظر: الخطيب التبريزى. الكافي في العروض والقوافي. ص: 20 - 21.
- ⁷⁸- الخطيب التبريزى. الكافي في العروض والقوافي. ص: 199.
- ⁷⁹- نفسه. ص: 199 - 200. ملاحظة: المُشاكلة هي المطابقة عند قدامة: يقول الخطيب التبريزى: "(المُشاكلة): أن يجمع الشاعر في البيت كلمتين متجلرتين أو غير متجلرتين شكلهما واحد ومعناهما مختلفان، كقول... الأقواء: وأقطع الْهُوَجَلِ مُسْتَأْسِاً *** ٻهُوَجِلِ عَيْزَانَةٍ عَتَّرِيسِ
الْهُوَجَلِ الْأَوَّلِ الْفَلَة، وَالثَّانِي النَّاقَة". الكافي في العروض والقوافي. ص: 199 - 200.
- ⁸⁰- الكافي. ص: 201 - 202.
- ⁸¹- نفسه. ص: 202.
- ⁸²- نفسه. ص: 202 - 204.
- ⁸³- آنظر: أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 142.
- ⁸⁴- آنظر: مقدمة المحقق. الكافي في العروض والقوافي. ص: 10.
- ⁸⁵- أحمد أبو زيد. التضخم والتضارب في المصطلح البلاغي. مجلة المعاشرة، الرباط. السنة الرابعة، العدد السادس رجب 1414 هـ / دجنبر 1993م. ص: 45.
- ⁸⁶♦- المقصود كتابه الموسوم بالبديع في نقد الشعر.
- ⁸⁷- مقدمة المحقق. قانون البلاغة. ص: 17.
